جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم علم الاجتماع- شعبة أنثروبولوجيا وفولكلور

مفهوم الرجولة كما تعكسه تنشئة الأم لأبنائها في المجتمع المصري: دراسة سوسيو- أنثروبولوجية

رسالة دكتوراه

إعداد الطالبة/ داليا أحمد عبد الرحيم مصطفى

إشراف
الأستاذة الدكتورة/ علياء شكري
الأستاذة الدكتورة/ علياء رافع

٢٠١٥

Ain Shams University
Women's College
Sociology Department

The Construction of Masculinity through Mother's Socialization of Children in Egyptian Society: A Socio-Anthropological Study

Dalia Ahmed A. Mostafa

PhD Dissertation

Supervised by

Professor Dr. Aliaa Ali Shoukry
&
Professor Dr. Aliaa Redah Rafea

2015

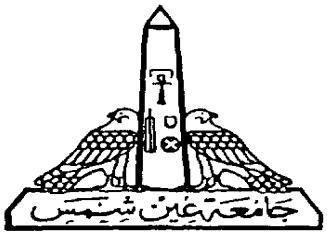

جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم علم الاجتماع

رسالة دكتوراه في الآداب

اسم الطالبة: داليا أحمد عبد الرحيم مصطفى

عنوان الرسالة: مفهوم الرجولة كما تعكسه تنشئة الأم: دراسة سوسيوأنثروبولوجية

اسم الدرجة: دكتوراه

المشرفون: أ.د. علياء علي شكري

أ.د. علياء رضاه رافع

تاريخ البحث: ---------/---------/٢٠١٥

الدراسات العليا: أجيزت الرسالة بتاريخ ----------/--------/٢٠١٥

موافقة مجلس الكلية **موافقة مجلس الجامعة**

---------/---------/٢٠١٥ ---------/---------/٢٠١٥

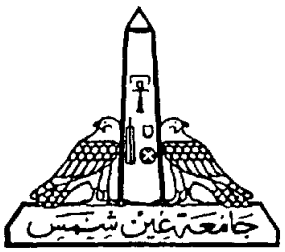

جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم علم الاجتماع

رسالة دكتوراه في الآداب

اسم الطالبة: داليا أحمد عبد الرحيم مصطفى

عنوان الرسالة: "مفهوم الرجولة كما تعكسه تنشئة الأم لأبنائها في المجتمع المصري: دراسة سوسيو- أنثروبولوجية"

لجنة الإشراف:

أ. د./ علياء شكري
أستاذ علم الاجتماع - كلية البنات ، جامعة عين شمس

أ. د./ علياء رضاه رافع
أستاذ علم الاجتماع المساعد -كلية البنات، جامعة عين شمس

المناقشون:

أ. د. سامية حسن الساعاتي
أستاذ علم الاجتماع - كلية البنات، جامعة عين شمس
أ.د. أحمد عبد الله زايد

عميد كلية الآداب وأستاذ علم الاجتماع- جامعة القاهرة

تاريخ البحث:------ /--------/ ----------

الدراسات العليا: أجيزت الدراسة بتاريخ -------/-------/ ----------

موافقة مجلس الكلية	**موافقة مجلس الجامعة**
--------/-------/ **٢٠١٥**	--------/-------/ **٢٠١٥**

شكر وتقدير

❁ ***الشكر والفضل لله الكريم،*** على نعمة المعرفة، وحب المعرفة، والعافية والقدرة على خوض سبل المعرفة، راجية منه جلّ وعلا أن يرزقها حب ما يرضاه من معرفة، وأن يكون هذا العمل علماً يُنتَفَعُ به. قبل ومن بعد، وهو القائل في محكم تنزيله: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}. فالباحثة تحمد لله القدير

ولابد في هذا المقام من وقفة امتنان وتقدير واحترام، تتوجه من خلالها الباحثة بعميق الشكر وجزيل العرفان للأستاذتين الفاضلتين المشرفتين:

❁ ***الأستاذة الدكتورة علياء شكري،*** عميدة كلية البنات، جامعة عين شمس سابقاً، والأستاذ بنفس الكلية. وقد شَرُفَت الباحثة بقبولها الإشراف على الرسالة، وبما تفضلت به من وقت وإسهام علمي متميز ودعم إنساني. فما كانت الباحثة لتقدم هذا العمل دون هذا الجهد والدعم. وهي نعم المُعَلِّم والمُشرف والمثل الأعلى.

❁ ***الأستاذة الدكتورة علياء رافع،*** الأستاذة بكلية البنات، جامعة عين شمس، وقد شَرُفَت الباحثة بإشرافها على الرسالة، وبما جادت به من وقت وجهد كبير وسعة صدر ودعم مستمر. وما كانت الباحثة لتقدم هذا العمل على أكمل وجه دون إشرافها. وهي نعم المُعَلِّم والمُشرف والمثل الأعلى.

❁ والشكر موصول ***للأستاذة الدكتورة سامية الساعاتي،*** أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس، ***والأستاذ الدكتور أحمد زايد،*** أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة، لتشريفي بقبول الانضمام إلى لجنة الإشراف والمناقشة.

❁ كما تخص الباحثة بالشكر الجزيل ***الأستاذ الدكتور محمد الجوهري،*** رائد العُلماء المصريين المختصين في ميدان الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجيا والدراسات الشعبية والفلكلور، لتكرمه بالإرشاد، والدعم.

❁ والشكر موصول، والعِرفان والتقدير ***لمنظمة المرأة العربية*** برئاسة ***سمو الأميرة الشيخة فاطمة بنت مبارك،*** على دعم الباحثة والتأكيد على أهمية موضوع الدراسة، من خلال التكرُّم بإهداء الباحثة المنحة البحثية التي تعتبرها مصدراً للاعتزاز ورمزاً باقياً لأواصر التقدير الراسخة والتعاون المتبادَل بين مصر وشقيقاتها.

❁ والمقام هنا لا يتسع لذكر أسماء الكثيرات والكثيرين من العلماء والأساتذة الذين ألهموا الباحثة بعلمهم الخالد وبكتاباتهم وأفكارهم المستنيرة. كما أوجه شكري وتقديري لكل الأصدقاء المُخلصين، وأيضاً المشاركين والمشاركات في الدراسة، ***وكل من أبدى اهتماماً بموضوع البحث وأهميته، وكذلك كل من تطوع للمشاركة في الدراسة الميدانية***. فلولا دعمهم وإيمانهم بقيمة المردود الإنساني للدراسة الراهنة، ما كانت لتتم على أكمل وجه.

إهداء

إلى أبي الحبيب ومعلمي: الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، رحمه الله...

...إلى أمي الغالية، الحاضرة الغائبة، رحمها الله...أول من علمني أن الأمومة رسالة حياة... أساسها العطاء والتجرد والإيمان...

...إلى أبنائي، قرة العين وبهجة الروح: نديم عمرو...لمجهوده ومساعدته في مرحلة المراجعة، وعلي...وكلاهما أمَلي في غد أفضل...

...إلى زوجي وصديقي العزيز، عمرو عبد الموجود، لمؤازرته الدائمة وإيمانه بقيمة الدراسة، ليس فقط باعتبارها رسالة علمية، وإنما كجزء من رسالتي في الحياة كامرأة، وكَزَوْجة، وكَأُمّ...

...إلى أخواتي ياسمين وسوسن، لدعمهما ودعائهما الدائم وثقتهما الفائقة في قدرتي على مواجهة التحديات...

... إلى العزيزة الأستاذة الدكتورة القديرة/ ماجدة فهمي...

...إلى روح أستاذتي الحبيبة/ الأستاذة الدكتورة سينثيا نيلسون رحمها الله...

... أهدي هذا البحث، الذي اعتبره، بعد توفيق الله، ثمرة ما جادوا به من عِلمٍ ودعم ومحبة.

الفصل الأول
مقدمة الدراسة

تمهيد

على الرغم مما تشهده الدراسات الاجتماعية في الغرب من زخم متزايد في الدراسات النقدية للرجولة والنقاشات الدائرة حول قضايا الرجل، لا زال أمامنا في مصر والعالم العربي الكثير في هذا المقام؛ ذلك أننا بصدد **قضية لم تُنظَر بَعد، هي قضية الرجل المصري**. فمكتبة العلوم الاجتماعية في مصر بوجه خاص، وفي العالم العربي بشكل عام، في حاجة للمزيد من هذه الدراسات (Abidi, 2008; Ouzgane, ND; Moghadam, 2003; Joseph, 1999; 1993; 1986; Keen, 1992؛ والمرصفي،٢٠٠٧). وكمحاولة لرأب هذ الصدع، تعتبر الدراسة الحالية محاولة للتعريف بهذا الحقل العلمي الحديث نسبياً، مع التركيز على مبحث "صناعة" الرجولة. أما عن التطبيقات المأمولة لهذا التخصص الهام، فنرجو أن تتم وفق رؤية سياقية لا تبتعد منهجياً أو نظرياً عن خصوصية الثقافة المحلية.

ومن خلال توظيف مدخل نظري بيني وتكاملي، تهدف الدراسة إلى فهم العلاقة بين "صناعة" الهوية الذاتية لدى الرجل وغرس مفهوم الرجولة من ناحية، وبين تنشئة الأم من ناحية أخرى. وقد سعت الباحثة في سبيل ذلك إلى التركيز على الأبعاد السوسيو-ثقافية للموضوع، وهو ما استلزم تخطى قضية "الذكورة" ذات الدلالة البيولوجية. وفي هذه الأثناء، سعت الدراسة إلى تكوين تصور سياقي contextual عن المدلول الجمعي لمفهوم "**الرجولة**"، وأنماط هذه الرجولة التي تشكلها تنشئة الأم. وبالإضافة إلى ما سبق، تعتبر الدراسة محاولة للاقتراب من بعض القضايا الخاصة بالرجل المصري، والتي قلما تم تناولها في البحوث العلمية والأوساط الأكاديمية بشكل متعمق. ويتناول الفصل التالي هذا المبحث.

ويتناول الفصل الحالي: (١) مشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها وتساؤلاتها وأسباب اختيار موضوعها، و(٢) فصول الدراسة، ثم (٣) أهم المفاهيم والتعريفات الإجرائية الواردة في الدراسة.

أولاً: مشكلة الدراسة

إن قضايا ومشكلات الرجل لا تنفصل عن قضايا ومشكلات المرأة. فوضع المرأة لا بد أن يكون له مردود على حياة الرجل أيضاً، وأحوال الرجل لا بد أن تنعكس على حياة المرأة. وقد لمست الباحثة

إشكالية مبدئية تتمثل في القصور الملحوظ في الدراسات الاجتماعية التي تتداخل فيها قضايا الرجل مع قضايا المرأة. كما لاحظت أن الدراسات التي تتناول الرجل والرجولة تندرج في الغالب ضمن دراسات المرأة أو الدراسات النسوية. ومن هنا، سعت الباحثة لاستكشاف حقل دراسات الرجل وأنماط الرجولة، وذلك من خلال محاولة التعرف على أساليب إنتاج الهوية الذاتية للرجل عن طريق تنشئة الأم في المجتمع المصري. وفي سياق ندرة الدراسات التي تتناول الرجل، لاحظت الباحثة أيضا غياب ملحوظ لمدلول واضح ومُحدَّد لمفهوم الرجولة، علاوة على بعض القصور في الاهتمام البحثي "بقضايا الرجل" المصري ومشاكله، مقارنةً بالاهتمام الواسع بقضايا وحقوق المرأة.

وترتيباً على ما سبق، تتمحور مشكلة الدراسة حول الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تلعب دوراً في تنشئة الأم لأبنائها، ودورها في تخليد المفاهيم والإرث الثقافي المتصل بالرجولة والأنوثة وتوريثها للأبناء. وتتطرق الدراسة أيضاً لبعض الإشكاليات، ومنها ضرورة إيجاد تعريف سياقي للرجولة في المجتمع المصري؛ وهو ما يعتبر مهمة محفوفة بالمآزق العلمية "الموضوعية". فقد تبين أهمية عدم التقيد بتعريفات سالفة دون مراجعة نقدية وتنقية تحليلية (Connell &Messerschmidt, 2005: 831)[1]. كما تتضح أهمية مراجعة بعض القوالب الثقافية السائدة، مثل وقوع المرأة دائما ضحية لقهر الرجل، في حين أن ثمة شواهد تدلل على أن المرأة تَتسبب أحياناً في قهر الآخر، رجالاً ونساءً. وتظهر هنا ضرورة استكشاف دور الأم في ترسيخ وتوريث الموروثات التي تكرّس اضطهاد المستضعَفين والأقل حظاً ضمن محيطها الاجتماعي، وخاصة المرأة.

ثانياً: أهداف الرسالة

تهدف الدراسة- أولاً- إلى سد النقص في تراث العلوم الاجتماعية في مصر بوجه خاص، وفي العالم العربي بشكل عام، فيما يتعلق بالدراسة العلمية والنقدية لمفهوم الرجولة، وإعادة قراءة ما يرتبط به من مفاهيم من منظور أكثر ملاءمة لواقعنا الاجتماعي المعاصر وتاريخنا وثقافتنا. وتتوجه الدراسة في الوقت نفسه نحو بناء رؤية متكاملة عن الرجولة باعتبارها انعكاسا لتنشئة الأم لأبنائها في المجتمع المصري. وتطمح الباحثة أن تكون الدراسة نقطة مضيئة ملهمة لبحوث لاحقة تسعى لتفكيك بعض المفاهيم التي تؤخر البناء الإنساني والاجتماعي. كما تهدف الدراسة إلى استكشاف أنماط التنشئة التي

يمكن أن تساهم في حصول الرجل والمرأة على استحقاقاتهما الإنسانية كاملةً، دون أن يكون ذلك على حساب الطرف الآخر. وتصبو الباحثة أيضاً إلى التعرف على بعض الموروثات التي ترسخها الأم، والمتصلة بالأدوار والتوقعات المرتبطة بالنوع. وأخيراً، ترجو الباحثة أن تساهم الدراسة في مناقشات نظرية مثيرة وجديرة بالاهتمام.

ثالثاً: أهمية الدراسة

لكل دراسة أكاديمية أهميتها التي تدفع الباحث لسبر أغوارها، ومحاولة التوصل إلى نتائج تجيب على تساؤلاته، عن طريق توظيف أدوات ومناهج مختلفة بشكل علمي موضوعي (عبد الهادي الجوهري، ١٩٩٧: ٩٩). وتستمد الدراسة الحالية أهميتها من خلال **أربعة محاور** أساسية، يتعلق **أحدها** بالحداثة النسبية لموضوع الدراسة وما يمكن إضافته لما سبق من دراسات، **والثاني** بالجانب النظري والمفاهيمي الذي يتم من خلاله تناول موضوع الدراسة، أما المحور **الثالث** فيتعلق بالأهمية التطبيقية، بمعنى توظيف البحث في وضع خطط إصلاحية وفق ما يرتضيه التطور الطبيعي للمجتمع. **وأخيراً**، تكمن أهمية الدراسة في جانبها المنهجي والعملي. وتوضح السطور التالية كلاً من هذه الجوانب.

أ- أهمية الدراسة بالنسبة لما سبقها من دراسات

أما من حيث أهمية حداثة موضوع الدراسة الحالية، فتأمل الباحثة أن تتميز الدراسة بكونها قيمة علمية مضافة، تسد النقص في مكتبة علم الاجتماع والأنثروبولوجيا العربية فيما يتعلق بالدراسات النقدية للرجل وأنماط الرجولة". فقد ركزت الدراسات السابقة جَلّ اهتمامها على قضايا المرأة، مع إغفال ملحوظ لمبحث الرجولة وتنشئة الأم "صانعة" الرجال بمعاونة موروثات ثقافية تكرسها هي وتعيد إنتاجها. فالباحثة تطمح تكون الدراسة الحالية قاعدة تنطلق منها دراسات أخرى عن الرجولة في مصر والعالم العربي.

ب-الأهمية النظرية والمفاهيمية

تكمن الأهمية الثانية للدراسة في إطارها النظري والمفهومي، من حيث تبني رؤية نظرية نقدية للتراث الثقافي السائد في المجتمع المصري وما يتضمنه من مفاهيم، والاستعانة بمداخل نظرية تساعد في رصد وتفسير الرؤى المعرفية الجمعية لمفهوم "الرجولة" وارتباطه بتنشئة الأم باعتبارها أفصح من يعبر عن حفظ وتوريث المفاهيم والرموز الثقافية. كما تقدم الباحثة أطروحة "تأنيث القهر"، بمعنى دور المرأة، خاصة الأم، في وقوع القهر على نفسها وعلى من هم أضعف أو أقل حظا منها.

كما تنبع الأهمية النظرية للدراسة من تبنيها مدخلا بينيّاً- *interdisciplinary approach* يعتمد على الانتقائية النظرية *eclecticism theoretical*، في محاولة لإبراز أوجه الالتقاء والتفتح المنهجي والانفتاح النقدي الكائن بين عدد من الأطر النظرية والمداخل العملية. فقد استعانت الباحثة بنظريات مختلفة ومتكاملة فيما بينها في نفس الوقت، كالتفاعلية الرمزية *symbolic interactionism*ونظرية الدور الاجتماعي *social role theory* ، والأنثروبولوجية النسوية *feminist anthropology*. وقد روعي عدم تسليط الضوء على نظريات وليدة واقع اجتماعي مغاير لطبيعة المجتمع المصري، وذلك من خلال تلافي التطبيق الحَرفي للنظريات والاتجاهات والأفكار الوافدة من الغرب "البرجوازي"، كما يسميه الطاهر أكغيم (النظرية الكويرية *queer theory* مثالاً) (٢٠١٠: ٣٢٨). وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى ضرورة الالتفات إلى ما يعرف ب"أرضنة" المفاهيم والاتجاهات النظرية الغربية، بمعنى أقلمتها مع الواقع المحلي المعيش وربطها به وليس بالحياة الاجتماعية في فضاءات أخرى (أميمة عبود، مستند إلكتروني؛ دولوز وغتاري، ١٩٩٣: ٩٩) كوش، ٢٣٥:٢٠٠٢-٤٢)[٢].

ج- الأهمية التطبيقية

أما فيما يتعلق بالأهمية التطبيقية، فيستمد موضوع الدراسة الحالية أهميته من ارتباطه بأهمية قضية وحقوق الرجل والمرأة والطفل ومن ثم الأسرة والمجتمع الإنساني ككل. ذلك أن تنمية المجتمع ونفع الإنسانية يبدئان ببناء الإنسان (رجلاً، امرأةً، وطفلاً)، في نطاق الأسرة أولاً. ويتحقق هذا البناء حينما يغدو الإنسان متسقاً مع واقعه الاجتماعي، متحررا من التناقضات التي يشهدها المجتمع، ولديه القدرة على تحمل مسئولية دوره الاجتماعي، وتبعات افعاله، واستيعاب الأدوار الأخرى والتعايش معها بشكل متكامل لا متواتر أو قائم على الصراع. وبذلك، تطمح الباحثة أن تصبح الدراسة ذات رسالة علمية ووطنية في نفس الوقت. فتشييد الأوطان يبدأ ببناء الإنسان.

ومن هذا المنطلق، تلتزم الدراسة الحالية ببُعد تطبيقي وتنموي له مردود إنساني يستهدف تمكين الرجل والمرأة على السواء، من خلال محاولة رفع مستوى الوعي الجماهيري، بمعاونة مؤسسات صنع القرار ومقدمي الرعاية والقائمين على مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية في مصر والتعاون معهم، ليصبحوا أكثر إدراكا واستيعابا لمتطلبات عصر ما بعد الثورات والتحولات العالمية، مع التأكيد على أهمية دحض بعض الموروثات والقوالب الجاهزة السلبية المرتبطة بمفهوم الرجولة والأنوثة. هذا

٢ راجع أيضاً فاطمة الوهيبي، ١٤٢٣ هـ: مستند إلكتروني؛ ومنذر غباشي، ٢٠٠٩: مستند إلكتروني)

بالإضافة إلى تصحيح مسار تنشئة بعض الأمهات للأبناء من الجنسين، بمعزل عن النموذج الأبوي *patriarchal model* المبني على القهر والتصارع، مع الأخذ في الاعتبار أن المفهوم الإيجابي للرجولة يعتبر نتاجا للتوازن الأسري والتحقق الذاتي الذي يساعد الإنسان على بناء غد ثائر على كافة أشكال القهر النفسي والاجتماعي والروحي.

د- الأهمية المنهجية

تنبع الأهمية المنهجية للدراسة-أولاً-من حداثة المناهج الكيفية المستخدمة، حيث استعانت الباحثة بالإطار التحليلي الفينومينولوجي التأويلي *Interpretative Phenomenological Analysis (IPA)* الذي طرحه جوناثان سميث وزملاؤه في منتصف التسعينيات (Clarke, 2010). ويرى هذا الاتجاه أن أي رحلة عمل ميداني لا يمكن أن يحالفها النجاح بدون علاقة ديناميكية تبادلية واعية بين الباحث والمبحوث، يتم فيها استقبال رؤى المبحوث "من الداخل"، في ظل عملية مستمرة من القراءة التأويلية التأملية *reflexive*، والوصف المكثف *thick description* من جانب الباحث. ومن جانب آخر، تمثل مناهج البحث الميداني للدراسة الراهنة (المنهج الأنثروبولوجي ومنهج دراسة الحالة) نقطة التقاء بين المناهج السوسيو-أنثروبولوجية ومناهج التحليل النفسي، التي لا تنظر للمشاركين في البحث باعتبارهم مجرد أرقام أو "حالات". بل تم عرض مقتطفات من تاريخ حياتهم *life histories* عرضاً وصفياً مكثفاً *thick description*، أعقبه تحليل متعمق يأخذ في الاعتبار مغزى الفعل الاجتماعي في سياقه، باعتباره جزءاً من البنى الثقافية المركبة (علياء رافع، ١٩٩٩). وقد فرضت هذه الخطة المنهجية دراسة عدد قليل نسبياً من الحالات (١١ حالة)، وهو ما تحتمه طبيعة المناهج المستخدمة.

رابعاً: تساؤلات الدراسة

تتصدى الدراسة للإجابة - في الفصل الأخير من الدراسة- على عدد من التساؤلات، في ضوء القراءة التحليلية للواقع الميداني والأطر النظرية الواردة في الفصل الثالث من الدراسة، والتساؤلات هي:

١- ما الرؤى المعرفية السائدة عن "الرجولة" و"الأنوثة" في المجتمع المصري الحضري المعاصر (القاهرة الكبرى مثالاً)؟ وما مدى ارتباط هذه الرؤى بتنشئة الأم لأبنائها؟
٢- كيف تساهم تنشئة الأم في تكوين الهوية الذاتية للأبناء، ورؤيتهم لذاتهم، ورؤيتهم للآخر؟
٣- إلى أي مدى تساهم تنشئة الأم في ترسيخ النظام الأبوي الذكوري و"تأنيث القهر"؟
٤- ما دور الأم في تكريس صراع الأدوار، وازدواجية المعايير، والفجوة بين النمط المثالي والنمط الواقعي؟

٥- إلى أي مدى تساهم تنشئة الأم في "إعاقة" الرجل معنوياً؟ وهل تشكل عقبة في سبيل التحقق الذاتي للأبناء ونمو هويتهم الذاتية؟
٦- هل يواجه المجتمع المصري "أزمة رجولة" وكيف يرى كل من الرجل والمرأة هذه المسألة؟
٧- ما آثار غياب الأب على تشكيل الهوية الذاتية للرجل واتجاهاته المعرفية والسلوكية؟

خامساً: أسباب اختيار موضوع الدراسة

إن اختيار موضوع الدراسة الحالية مدفوع برغبة الباحثة في إضافة قيمة علمية في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ودراسات النوع الاجتماعي، واستكشاف سبل تطبيق النظريات والمفاهيم المرتبطة بدراسات الرجل في مصر، والتي تلاقي اهتماماً كبيراً في الغرب في الوقت الذي لم تحصل فيه على جهود بحثية كافية في مصر بشكل خاص وفي العالم العربي عموماً (Ilahi, 2008:48؛ هناء المرصفي، ٢٠٠٧). وبالرغم من الكم المتنامي من الإسهامات العلمية التي تتناول موضوع التنشئة الاجتماعية وأساليبها (Williams, 1988)، فإننا لا نجد ذلك التناول متاحاً فيما يتعلق بربط التنشئة بمفهوم الرجولة وبناء الهوية النوعية *gender identity*، حيث نجد عدداً قليلاً من مثل تلك البحوث (علي الطراح، ٢٠٠٠ مثالاً)، خاصة فيما يتعلق بالدور الذي تلعبه الأم في تخليد الموروث الشعبي وتمجيد الذكورة.

وبالإضافة إلى ما سبق، فالدراسة مدفوعة برغبة في مردود تطبيقي وتنموي، يبدأ باستكشاف وتصحيح بعض الرؤى المعرفية. حيث تأمل الباحثة في ثورة اجتماعية- ثقافية يقودها جيل جديد، على بعض المفاهيم المتأصلة في تراثنا الشعبي التي تتطلب بعض المراجعة (الراجل ما يعيَّطْش، الراجل ما يتعيبش، التحرش سببه المرأة، الخ...). فلا سبيل لنيل "الحرية والعيش والكرامة الإنسانية" دون ثورة إنسانية وأخلاقية وثقافية تهدف-أولاً- للتكامل الإنساني بين شطري المجتمع، وتسعى لتَعايُشهما بثقة في النفس وفي الآخر، والاحترام، والشعور بالمسئولية، والقدرة المشتركة على البناء، لا الصراع.

سادساً: المفاهيم والتعريفات الإجرائية

أ- مفهوم الرجولة

قبل الشروع في عرض التعريف الإجرائي للرجولة *masculinity* ، يجدر ذِكر ما أورده "جيرار ميريه" عن النزعة الغربية لامتلاك الخطابات السائدة وتعميمها. وكنتيجة لذلك، تأسست وسادت المفاهيم الغربية التوسعية ذات التمركز الأوروبي المتعصب *Eurocentrism* باعتبارها الأصل، سعياً لجعل "الآخر" نسخة عنها أو تابعاً لها. ولكن امتلاك المفاهيم أو محاولة احتكارها لا يعني اتفاقها مع ما

يجري في الواقع المُعيش. وقد برزت مؤخراً كردّ فعل لذلك اتجاهات تختلف مع قوى العولمة[٣] المهيمنة التي قد لا تعترف بالتعددية الحضارية. وتؤكد هذه الاتجاهات أهمية الإقرار بحتمية تجديد وتطوير وتطويع المفاهيم "الغربية" المهاجرة و"أرضَنتها" بلغة جيل دولوز، أي إعادة تأويلها. فلربما أدت هذه الهجرة إلى تغيير مدلول المفهوم، بل وولادة مفهوم جديد أكثر اتساقاً مع الواقع المحلي. وحينئذٍ، يكتسب المفهوم طابعاً مختلفاً من شأنه درء التشوش والاضطراب أو الاغتراب الثقافي أو الخلط. فالمفاهيم "تُحَلِّق فوق الأقاليم... لتحط ثانية على الأرض التي ستنبت عليها من جديد (تتأرضن)" لتبدأ عندئذ عملية إعادة الأقلمة بعيدا عن أوهام التملك الضيقة المحدودة (انظر دولوز وغتاري، ١٩٩٣: ٩٩؛ كوش، ٢٠٠٢:٢٣٥-٤٢؛ فاطمة الوهيبي، ١٤٢٣ هـ؛ منذر غباشي، ٢٠٠٩).

ومن هذا المنطلق، سعت الباحثة لتجاوز التعريفات الغربية للرجولة، خاصة تلك التي لا تتفق مع خصوصية المجتمع المصري تحديداً، أو تلك التي لا يمكن تطبيقها على موضوع الدراسة الحالية. فعلى سبيل المثال، استوقف الباحثة عدد من القضايا التي تهتم الأدبيات الغربية بمناقشتها ولا تتناسب مع طبيعة المجتمع المصري ولا تعد من أولويات البحوث التي تتناول هذا المجتمع. ومن أمثلة ذلك ما يطلق عليه البعض "الرجولة المثلية"[٤] ورجولة الجنس الثالث، أو "الكويرية" (حرية اختيار الجنس). وقد تطلب ذلك من الباحثة انتقاء تعريف إجرائي يتفق مع خصوصية سياق المجتمع موضع الدراسة، ومع المعايير الأخلاقية والقِيَمية السائدة فيه. على أن ذلك لا يعني بالضرورة محو ما سبق طرحه من تعريفات. وإنما القصد هو التكامل معها و"أقلمتها".

أ-١-إشكالية التعريف في الأدبيات الغربية

تبين من البحوث الاجتماعية والأنثروبولوجية عدم وجود إجماع على تعريف بعينه لمفهوم الرجولة. ذلك أن تعريف الرجولة يختلف باختلاف عدد من الأبعاد، ومنها الطبقة والنوع والسن والمستوى الثقافي والموقع الجغرافي وغير ذلك. بل أن مدلول الرجولة يختلف حتى ضمن الثقافة الفرعية الواحدة بحسب مكان ونوع العمل، والمكانة الاجتماعية والثقافية، والظروف السياسية، والعوامل

٣انظر Mostafa, 2008: 20-21

٤ انظر مثلاً -N.D. Searching for the Gay Masculinity. http://web.grinnell.edu/courses/lib/s01/lib397-01/ReStructuring_Masculinities/documents/gaymasc.pdf

Runyon , Luke. 2014. *In* Changing America, *Gay Masculinity Has 'Many Different Shades'*. http://www.npr.org/2014/08/22/339831032/in-changing-america-gay-masculinity-has-many-different-shades.

الجيوفيزيقية، والعِرق، ونمط الأسرة وغير ذلك. فعلى سبيل المثال، تتركز معاني الرجولة في بعض قطاعات المجتمعات الحضرية حول الزعامة، في حين أنه توجد "نسخة" أخرى من الرجولة في ثقافات أخرى ترتكز على الخبرة والحرفية والمعرفة (Connell & Lecture, 2000).

وبعبارة أخرى، تتمثل إحدى إشكاليات الأبحاث في مجال دراسات الرجل في الغرب في عدم وجود تعريف محدد لمفهوم "الرجولة"، فهناك تباين في مدلولات الرجولة، يكاد يصل إلى حد التناقض أحياناً. حيث أننا نجد تداخلاً بين المعاني المختلفة لمفهوم الرجولة باللغة الإنجليزية. فعلى سبيل المثال:

- يعتبر لفظ *masculine* اسماً وصفة في آن واحد، حيث يستخدم في صيغة الصفة للإشارة إلى (أ) ارتباط الموصوف (غير عاقل: تصرف، تفكير...الخ) بخصائص ذكورية نموذجية، أو (ب) أشياء ذات صلة بالرجال (الأدوار والشكل مثلاً)؛ (ج) تصنيف لغوي كما هو الحال مع الضمائر أو الصفات أو الأسماء التي يمكن أن تكون مؤنثة *feminine* أو مُذَكَّرة *masculine*. أما حين تستخدم كلمة *masculine* لوصف **الإنسان**، فيمكن أن يكون للكلمة خصائص التدرج، مثلاً *more masculine* أي أكثر رجولة، أو *most masculine* أي الأكثر رجولة، وهي معانٍ متضادة مع مفاهيم مثل *unmanly* أو *Epicene* أو *effeminate* بمعنى "منتقص الرجولة" أو "عديم الرجولة".
- يستخدم الاسم (.n) *masculine* لتصنيف الأسماء والضمائر والصفات (مذكر/ مؤنث).
- أما مصطلح *manly* فصفة للإشارة إلى الطريقة المعتاد والمتوقع أن يتصرف الرجال على نحوها، كأن يكون شجاعاً أو قوياً، والاسم هو *manliness*، على العكس من كلمة *male*. والأخيرة يقصد بها "الذَكَر"، ويمكن استخدامها كصفة تطلق على الحيوانات.

(Editors of the American Heritage Dictionaries, 1995; Macmillan English Dictionary, 2002: 870, 877; Merriam-Webster's Dictionary, 2009)

ومن ناحية أخرى، يحمل مصطلح *manhood* نفس الدلالة تقريباً وفقاً لقاموس ماكميلان (Macmillan, 2002: 869)، الذي أورد أنه يشير إلى (أ) السمات التقليدية أو النموذجية للرجال، (ب) المرحلة التي يصبح فيها الولد رجلاً، و (ج) الرجال بشكل عام.

وقد توصل هيرن (Hearn, 1998; & 1996) وكلاتيربوج (Clatterbaugh, 1998)، من خلال اختصاصهما في دراسة الرجولة ومعانيها المختلفة، إلى أن المفهوم متداوَل لدى الكثير من الكُتّاب

والباحثين بشكل مبهم أو غير متسق أو مبسط بشكل مخل، سواء في صيغته المفردة *masculinity* (الرجولة) أو في صيغة الجمع *masculinities* (Connell, 1995: ix-15).

أ-٢-مفهوم "الرجولة" في التراث العربي

أما عن مفهوم الرجولة باللغة العربية، فمن خلال البحث في القواميس والمعاجم العربية، تبين أيضاً وجود خلط بين "الرجولة" و"الذكورة". حيث نجد ربطاً بين الرجولة وبين الجوانب الحسية والبيولوجية. كما وُجد أن الرجولة تمثل عكس ما هو مؤنث، وتتفوق على الأخيرة في المكانة والأهمية، أي أن الرجل يعتبر نقيضاً للمرأة وهو الأعلى مكانة. ويؤكد ذلك بشكل ضمني التغاضي في التراث اللغوي العربي عن معنى التكامل والمساواة بين النوعين.

على سبيل المثال، يعرّف "لسان العرب" الرجل كالتالي: "...معروف الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأَة، وقيل: إنما يكون رَجلاً فوق الغلام، وذلك إذا احتلم وشَبَّ، وقيل: هو رَجُل ساعة تَلِدُه أُمُّه إلى ما بعد ذلك...". ولا يختلف تعريف القاموس المحيط في ذلك كثيراً، فقد وردت فيه المعاني المرتبطة بالمصدر "رجل" كما يلي: "...الرَّجُلُ،... وإنما هو إذا احْتَلَمَ وشَبَّ، أو هو رَجُلٌ ساعةَ يُولَدُ، ... والكثيرُ الجِماعِ،....وتَرَجَّلَتْ: صارتْ كالرَّجُلِ..." (الباحث العربي، ٢٠٠٩)". أما الصحاح في اللغة، فقد أورد أيضاً أن: "... الرَجُلُ خلاف المرأة...".

أ-٣-التعريف الإجرائي لمفهوم الرجولة

إن مدلول **الرجولة** الذي تركز عليه الدراسة الحالية بشكل أساسي، لا صلة له بمعنى الذكورة المرتبط بخصائص بيولوجية. ولكنه يشير إلى الخصائص الاجتماعية والثقافية والنفسية للرجل. أما عن الجوانب الإيجابية للرجولة ("الرجولة الحقيقية")، فتزداد صعوبة الوصول إلى هذا المعنى الأخير دون الاسترشاد بمعايير محددة. وفي هذا الصدد، ترى الباحثة أن **المعيار الأساسي للرجولة يرتبط بمكون نفسي أخلاقي**. بعبارة أخرى، **ربطت الباحثة بين مفهوم الرجولة في المجتمع المصري بمعناه الإيجابي بالسِواء الأخلاقي والنفسي الذي ينأى عن الإخلال بحقوق الآخر، وعن القهر**. وفي نفس الوقت، تم الربط بين "الرجولة الإيجابية" وبين التوازن والتكامل بين الرجل والمرأة. فالرجولة والأنوثة يعتبران مفهومين متصلَين، لا يحمل أحدهما أي معنى بمعزل عن الآخر. وبالإضافة إلى ما سبق، فإن أهداف ورؤى الدراسة الحالية لا تتطرق لمفهوم الرجولة باعتباره من المسلمات. وتأمل الباحثة أيضاً أن يفرز الواقع الميداني تعريفاً أكثر خصوصية، ينبع من رؤى مفردات الدراسة.